**تفسير الآيات من (74- 83)، موقف المنافقين من رسول الله**

بحث فى علم التفسير

إعداد / *أيمن محمد أبو بكر*

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

***ayman.abobakr@mediu.ws***

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى موقف المنافقين من رسول الله**

**الكلمات المفتاحية – طاعه، المنافقين، اختلافا**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة موقف المنافقين من رسول الله**

* **.عنوان المقال**

**وجه المناسبة، والمعنى العام للآيات:**

**يقول ربنا: {ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ} [النساء: 81-83].**

**وجه المناسبة:**

**بعد أن ذكر ربنا ما ذكر، أراد أن يذكر حال جماعة ظهرت في المجتمع المدني، تلكم هي جماعة المنافقين الذين وجدوا في الإسلام، وفي قوته ما يدعوهم إلى أن يصانعوه، ومع ذلك فهم يحملون في قلوبهم الكفر والحقد والحسد.**

**وهؤلاء يمثلون دورًا عجيبًا حين يكونون مع أهل الإسلام، وبين يدي رسول الله  فأراد الله  أن يكشف حقيقة هؤلاء لرسول الله  وللمؤمنين معه، فقال: {ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ} الآيات.**

**المعنى العام:**

**ومعنى هذه الآيات -كما نرى- واضح في أنه  يذكر لنا أن هؤلاء حين يكونون بين يدي رسول الله  يظهرون له الطاعة التامة، فإذا خرجوا من عند رسول الله  اجتمع أمرهم على أن يعادوا هذا الدين، وأن يقولوا غير ما سمعوه، ورسول الله  إنما جاء ليؤصل قاعدة مهمة في التعامل مع الآخرين.**

**هذه القاعدة تقوم على أن الحاكم والمسئول عليه أن يأخذ بالظواهر لا أن يفتش في بواطن الناس وقلوبهم، فعلى هذا جاء قوله: فأعرض عنهم ولا تحاسبهم على ما يبيتون مادام هذا لم يظهر في صورة ظاهرة للإسلام وللمسلمين يؤاخذ به هؤلاء.**

**وعلى رسول الله  أن يتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا.**

**ثم انتقل القرآن يثبت لهم أنه هو الكتاب الحق، ويطالبهم بأن يتدبروا في آياته وأحكامه، وما جاء به ليعلموا تمام العلم أن هذا القرآن في تناسقه وتناغمه، وأنه ليس ما يناقض بعضه بعضًا، فهذا دليل على أنه من عند الله.**

**وكان عليهم إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف ألا يحملوا هذا ليذيعوه في الناس ظلمًا وزورًا وبهتانًا، وعليهم أن يردوا هذا إلى الرسول  وإلى العلماء العاملين منهم ليستنبطوا لهم الحكم الصحيح، وليرشدوهم إلى الطريق الراشد، والله  لولا أنه تفضل على أهل الإيمان ببيان ذلك؛ لكان في ذلك تسليط للشيطان عليهم.**

**والله  يقول: {ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ} هذا -إذًا- هو المعنى العام لهذه الآيات، فماذا في هذه الآيات من المعاني؟**

**ب. تهديد للمنافقين:**

**قوله تعالى: {ﭟ ﭠ} هذه كلمة يقولها هؤلاء في مناسبات كثيرة كلما عنت لهم مناسبة؛ جاءوا يعلنون لرسول الله  أنهم محبون له طائعون لأمره لا يخالفونه، وهذا ليس من شأن أهل الإيمان؛ لأن المؤمن ليس في حاجة إلى أن يقول هكذا كلما رأى رسول الله : أنا مطيع لك، منفذ لأمرك، إنما المؤمن ينفذ أمر الله، ولا يتردد على الإطلاق في التزام ما جاء به رسول الله  ففعله أبلغ دليل على صدق قوله وصدق دينه، ولكن لأن هؤلاء يرون أن الرسول  وأن المؤمنين معه ينظرون إلى أفعالهم وأحوالهم نظرة ارتياب يحاولون أن يدفعوا عن أنفسهم هذه الشبهة، وهذه التهمة فما أن يجلسوا بين يدي رسول الله  حتى يبادروا إلى إعلان أنهم طائعون لرسول الله  {ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ} انظر إلى هذا التعبير القرآني؛ فإن البروز هو الخروج التام، وهؤلاء برزوا -أي خرجوا- وتأكدوا من أنهم ابتعدوا عن مجلس رسول الله ، وأنه لم يعد يراهم أحد من الناس، فهذا ما يفيده استعمال كلمة: {ﭢ} في قوله: {ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ} والتبييت هو الأمر الذي يدبر بليل، والأمر الذي يدبر بليل لا يراه أحد، ولا يطلع عليه إلا علام الغيوب، ولذلك هم يظنون أنهم في مأمن من رؤية الآخرين لهم مادام الأمر يدبر بليل، ولا يراهم أحد من الناس، فهذا هو التآمر بعينه.**

**{ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ}، {ﭨ ﭩ ﭪ} أي: ما كانوا يقولونه بين يدي رسول الله  بأن أمرهم كله قائم على طاعة هذا الرسول، وهم الآن يتآمرون على الإسلام ورسول الله  وما جاء به من الهدى، أو معنى: {ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ} أي: غير الذي تقوله أنت يا نبي الله؛ فقد استمعوا منك إلى آيات الوحي، وإلى التوجيهات الصائبة الرشيدة التي فيها سعادة المرء في دنياه، وفي أخراه.**

**هؤلاء القوم من التبجح والظلم وعدم الالتزام؛ بأنهم يغيرون كلام رسول الله  ويحرفونه، وهذا شأن المنافقين، كما قال ربنا: {ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ} [البقرة: 14] وقد رد الله عليهم قائلا: {ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ} [البقرة: 15].**

**فإذن هذا هو حال هؤلاء المنافقين في أنهم يقولون ويتقولون على رسول الله  ما لم يقله، أو أنهم يقولون أقوالًا أخرى، ويعقدون النية على أمور أخرى ما كان لهم أن يقولوها، وهي مناقضة لإعلانهم طاعة رسول الله  فماذا كان من أمر الله معهم؟ وكيف هددهم؟**

**{ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ} عبارة فيها من التهديد والوعيد لهم ما تقشعر منه الأبدان لو عقل هؤلاء،**

**وقوله: {ﭯ} يبيتون أي: يفعلون هذا سرًا دون أن يعلم بهم أحد.**

**فهذا تهديد ووعيد شديد لهم، وإذًا فهذا قوله: {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ} أي: يثبت ذلك عن طريق الملائكة الموكلين بهم في صحائفهم؛ ليجازيهم على ما يبيتون، أو فيما يوحيه الله إلى رسوله  ليكون هذا فضحًا لأستارهم وأسرارهم، فإذا كان الأول؛ كان القصد هو التهديد، وإذا كان الثاني، فالهدف من ذلك تحذيرهم؛ حتى ينيبوا وحتى يرجعوا إلى الله .**

**{ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ} الإعراض عنهم هو عدم مؤاخذتهم عما يبيتون، وفي المعنى العام أوضحت أن هذا الإعراض إنما يكون إذا كان الأمر مجرد تبييت كلام، وأمور ومؤامرات في الخفاء لم يظهر أثرها في واقع الحياة، لكن إن ظهر من هؤلاء بعد هذا التبييت شيء من هذا التآمر وجب على المسلمين وقيادتهم ورئاستهم أن يؤاخذوا هؤلاء بجريمتهم، فهذا قول الله تعالى: {ﭱ ﭲ} منهج متكامل لكيفية التعامل مع هؤلاء وأمثالهم، فالإسلام لا يؤاخذ الناس بما يضمرون في قلوبهم؛ لأن القلوب لا يطلع عليها إلا علام الغيوب، إنما يؤاخذ الإسلام الناس بما ظهر منهم وهذا قوله: {ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ}.**

**والأمر بالتوكل على الله في هذا المقام فيه من التطمين لرسول الله  ما فيه؛ لأن الله  هو الذي سيتولى حفظ رسوله  من مؤامرات هؤلاء المتآمرين، ولذلك ترى أنه استعمل لفظ الجلالة هنا فقال: {ﭳ ﭴ ﭵ} فالله  المستجمع لكل صفات الجلال والكمال -كما ذكرنا- هو الذي سيحفظ رسوله  من مكر هؤلاء الماكرين، وزيادة في تطمين رسول الله  يقول له: {ﭷ ﭸ ﭹ} نعم يكفيه رب العزة والجلال أن يكون وكيلًا يدافع عنه، ويحفظه، ويظهره على حقيقة هؤلاء، ومن هذا الذي يستطيع أن يكشف دخائل الناس، ويستطيع أن يحفظ رسوله إلا أن يكون هذا هو الله الذي له ملك السموات والأرض، وهو المطلع على السرائر العليم بالبواطن؟ فهذا الإله جدير أن يركن إليه رسول الله  بل حري أن يركن إليه كل مؤمن.**

**وليعلم أنه ما دام قد أخذ الأسباب، وبذل غاية الجهد في التحفظ والتحري والتثبت من هؤلاء الأعداء، وأخذ حذره تمامًا منهم بكل ما في وسع الإنسان؛ فليبق ما تبقى موكول إلى الله  هو الذي يتولى -بنفسه، وبما له من صفات الجلال والكمال- حفظ رسول الله  وحفظ المؤمنين، ولا يستطيع ذلك أحد إلا الله، ولهذا جاء ختام الآية: {ﭳ ﭴ ﭵ ﭷ ﭸ ﭹ}.**

**ج. الدليل على أن القرآن من عند الله:**

**الله  قال لنبيه : {ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ} فالله  شهد بصحة رسالة رسوله  لكن ما الدليل العملي الواقعي على صحة هذه الرسالة؟ الدليل هو هذه المعجزة التي أعجزت فصحاء العرب وبلغاءهم، وثبتت صحتها على مر الزمان والأجيال، هذا هو القرآن العظيم معجزة رسول الله  التي تحدى بها الإنس والجن، وبين ربنا بأنه: {ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ} [الإسراء: 88] فقال -عز من قائل: {ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ} والآية في الحقيقة احترام عظيم للعقل البشري، وبيان لما أولاه هذا الدين من قدرة الإنسان على التعقل، وعلى الفهم، وعلى التدبر، وأن الأمر في هذا الدين ليس أمر إجبار، فمن آمن فله الجنة، ومن كفر فله النار هكذا، إنما دعا إلى الإيمان بعد أن ساق الأدلة والبراهين التي تدعو الإنسان إلى أن يؤمن بالله .**

**وهذا هو الذي نراه في الآية الكريمة: {ﭻ ﭼ ﭽ} التدبر في القرآن هو التفكر والتذكر والبحث والتنقيب، فلينظر الإنسان بعقله وفكره وروحه ووجدانه وشعوره، وليقف أمام آيات القرآن؛ ليرى هل بين آيات القرآن تناقض؟ وهل أثبتت الأيام والزمان كذب حقيقة تحدث عنها هذا القرآن؟**

**إن الناظر والباحث والمتدبر في آيات القرآن يدرك -تمام الإدراك- أن هذا القرآن من لدن عليم خبير، وكما قال -عز من قائل: {ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ} [هود: 1] وكما قال: {ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ} [فصلت: 42] و{ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ} وهذه معجزات القرآن الكريم واضحة كل الوضوح، هذه معجزاته البيانية، ومعجزاته العلمية، ومعجزاته فيما أخبر به من غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل، وما جاء به من أحكام فيها سعادة البشر، وهناك ما جاء في هذا القرآن من أمور يجب أن يقف الناس عندها؛ ليعلموا ما فيها من سعادتهم في الدنيا والآخرة، وهو في كل ما أخبر لا يمكن أن تعثر على تناقض، أو تعارض بين آياته، إنما آياته جاءت هكذا محكمة كل الإحكام، وهذا دليل على أن هذا القرآن من عند الله.**

**د. التثبت من الأمور:**

**هناك فريق من الناس إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف؛ حملوا هذا الأمر وأذاعوه بين الناس دون تثبت، فأنت ترى هؤلاء في كل موقف يحملون عبء الإشاعات التي تنتشر في المجتمع، دون أن يكون لديهم دليل، ومن ذلك على سبيل المثال ما ذكره العلامة ابن كثير: «من أن عمر بن الخطاب > بلغه أن رسول الله  طلّق نساءه، فجاء من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك، فلم يصبر حتى استأذن على النبي  فاستفهمه أطلقت نساءك؟ فقال: لا، فقال: الله أكبر...» إلى آخر هذا الحديث.**

**وأيضًا روى الإمام مسلم أنه قال: «فقلت: أطلقتهن (أي: قال عمر لرسول الله : أطلقتهن) فقال: لا. فقام -عليه رضوان الله- على باب المسجد فنادى بأعلى صوته: لم يطلق رسول الله  نساءه» ونزلت هذه الآية: {ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ}.**

**فإذن ليست المسألة مجرد خبر عن رسول الله  يتعلق بأهل بيته، وأن هؤلاء نشروا شائعة فيها هذا القول، وإنما هذا شأن هؤلاء.**

**والآية بذلك ترسم منهجًا لمقابلة ومواجهة الشائعات ومواجهة هؤلاء؛ إذ الواجب على الناس، والواجب على هؤلاء على وجه خاص -كما ذكرت الآية- أن يعودوا إلى المصدر الأساس الذي منه تؤخذ الأخبار؛ ليتحققوا من حقيقة هذا الخبر؛ ولذلك قال ربنا: {ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ} لو ردوه أي: أرجعوه إلى رسول الله  بمعنى أنهم جاءوا إليه يسألونه عن صحة ما سمعوا؛ لأوضح لهم الرسول  ذلك، وهذا إنما يكون في حياته  أما بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وبعد وفاته؛ فالرد إلى الرسول هو الرد إلى سنة رسول الله  نقيس بها صحة هذا الخبر بالبحث عن صحة من حمل لنا هذا الخبر، ومدى نزاهته، ومدى عدالته في الإخبار عما أخبر به، فقد يكون كذابًا، أو حاقدًا، أو حاسدًا، أو موتورًا، أو ظالمًا، أو فاسقًا، أو فاجرًا، أو كافرًا، أو منافقًا، أو ما إلى ذلك من هؤلاء الأعداء، أو أنه رجل ساذج لا يدرك حقيقة ما يقول.**

**فلا بد أن نقف على حقيقة الأمر من مصدره الحقيقي، أو نرد هذا إلى أولي الأمر منهم وهؤلاء هم العلماء الفاقهون، أو المتخصصون في مثل هذه الأمور؛ فيجب أن يرد الأمر إلى أصحاب الخبرة فيه؛ لنعرف حقيقة ما يقال؛ حتى لا نقع فيما لا تحمد عقباه.**

**فأولي الأمر هم الناصحون الذين يعرفون حقيقة هذا الأمر، وكل جهة في دولة الإسلام لها اختصاص خاص في جانب من الجوانب، وعلى الأمة أن ترجع إلى هؤلاء لتستوثق عن صحة ما يذاع، وما يقال، لا أن يترك الأمر هكذا؛ ينشر هؤلاء المروجون للإشاعات في كل مكان: {ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ}.**

**ثم يقول ربنا: {ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ} هذا معناه أن: الله  هو الذي تفضل على أهل الإيمان برحمته، ومنه، وكرمه، وأوضح لهم حقيقة ما يذيعه هؤلاء الذين إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، وأنه لولا ما كان من فضل الله ومن رحمة الله به؛ لاتبعتم الشيطان إلا قليلًا.**

**هؤلاء القلة هم المتثبتون أصحاب البصائر الذين لا يغترون بما ينشر من أكاذيب ومن أراجيف، إنما هؤلاء وقافون عندما جاء عن الله، وعن رسوله، وعن المتخصصين في أمتهم يرجعون إليهم الأمور في تعقل؛ ليعلموا حقيقة ما يذاع وما يقال.**

**أما بقية الناس فهم إنما يسيرون وراء كل ناعق، ولا يتثبتون مما يقال لهم، ومن هنا تنتشر الشائعات في مجتمع الإسلام، وصدق الله إذ قال: {ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ}.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**